

جماليات التكرار في شعر فدوى طوقان

ديوان "تموز والشيء الآخر" نموذجاً

دراسة أسلوبية

The Aesthetic of Repetition in The Poetry of Fadwa Toqan

Dewan "July and the Other" as a model

A stylistic study

د. مؤمن عمر محمد البدارين

أستاذ النحو واللغة المساعد في جامعة بيت لحم /مدينة بيت لحم- فلسطين

Prepared by

Dr. Mumen Omar Mohamed Al Badarin

Assistant Professor of Linguistics and Grammar in Bethlehem

University/ Bethlehem City- Palestine.

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن جماليات التكرار في ديوان "تموز والشيء الآخر" للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، وقد لفت نظر الباحث تعدد الشاعرة تكرار ألفاظ وتراكيب وجمل في هذا الديوان، وهذا له دلالاته؛ إذ إن التكرار يقوم على جملة من الاختيارات الأسلوبية لمادة دون غيرها ولصيغة دون غيرها، وهذا يدل على ارتباط وثيق بنفسية الشاعر ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث إذ لم أجد دراسة تتناول أسلوب التكرار في ديوان فدوى طوقان "تموز والشيء الآخر".

كما يسعى البحث إلى التعريف بظاهرة التكرار من حيث أصولها ومحدداتها وأنماطها، ثم التوقف عند ديوان فدوى؛ لتحديد أنماط التكرار التي استعملتها فدوى فيه وتحليلها تحليلاً أسلوبياً، للتعرف على دور كل نمط في بناء الجملة وتنوع سياقاتها وتكثيف دلالاتها.

وخلص البحث إلى نتائج أهمها:

برزت ظاهرة التكرار كنمط أسلوبية وظفته الشاعرة في ديوانها توظيفاً موفّقاً، حيث كانت له وظيفتان: دلالية وإيقاعية، في حين لم يكتشف البحث أي نماذج لتكرارات حشوية.

تعددت أنماط التكرار في الديوان؛ فكانت وفق ما يأتي: تكرار اللازمة، وتكرار الاستهلال، والتكرار الهندسي، وتكرار الأفعال، وتكرار الأسماء، وتكرار الحروف. استطاعت الشاعرة من خلال أسلوب التكرار أن تعبر عما في ذهنها وتصور لنا مشاعرها وأحاسيسها وآلامها وهمومها التي أصابتها لأسباب اجتماعية صعبة وسياسية معقدة.

الكلمات المفتاحية: التكرار، الأسلوب، فدوى طوقان، ديوان "تموز والشيء الآخر".

Abstract

This research aims to reveal the aesthetic of repetition in the Palestinian poet Fadwa Touqan's divan "July and the other thing".

It has drawn my attention to the deliberate repetition of words, phrases and sentences in this divan, which inspire me to analyze poems of this divan so I can get the impact of repetition on structure and meaning of that poems, furthermore the repetition is based on a number of stylistic choices which differ from one to another, and this indicates a close connection to the self of the poet, as I did not find any similar study on this divan, hence it shows the importance of this research.

The research also aims to introduce the phenomenon of repetition in terms of its origins, determinants and patterns, and then to stop at Divan of Fadwa to identify and analyze the patterns of repetition that Fadwa used.

From the research's conclusions, the phenomenon of repetition emerged as a stylistic style that the poet in her divan employed successfully, where it had two functions: semantic and rhythmic, while the research did not discover any models of repetitions that has no sense.

Keywords: *Fadwa Touqan, Repetition, July and The Other Thing*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على رسول الأولين
والآخرين، ومن سار على دربه إلى يوم الدين؛ وبعد:
فإنّ للشعر مكانةً كانت وما تزال حاضرة في الساحة الثقافية والسياسية
والأدبية؛ لذا كان الشاعر صاحب فكر وقضية وفلسفة في الناس والحياة، فيترجم شعره
عبر كلمات ينتقيها، وأساليب لغوية يوظفها، ومن هذه السمات الأسلوبية التي ظهرت في
الشعر الحديث التكرار؛ إذ يُعدّ من أبرز الظواهر التركيبية الماثلة في بنيته، حيث يعتمد
عليه شعراء الحداثة اعتماداً يفوق أسلافهم المتقدمين سواء من حيث الدلالات أو الأنواع
أو الإيقاعات؛ فقد وظّفوه كنمط أسلوبية في أشعارهم مما استدعى الباحثين أن يدرسوه
ضمن المباحث الأسلوبية (الملائكة، 1981، وربايعة، 2001، وشريتج، 2010) فوقفوا وقفة
مستأنية للبحث في دلالاته وترصد أنماطه وإيحاءاته.

ومن هنا جاء هذا البحث؛ إذ هو مدارسة دلالية أسلوبية لشمط التكرار في ديوان
فدوى طوقان "تموز والشيء الآخر" الصادر عام 1989م، ولما كان التكرار يشكل ملمحاً
أسلوبياً ينهض بوظيفة جمالية إيقاعية وأخرى دلالية استشرافية؛ فكان لا بدّ من
الوقوف على هذا الأسلوب الذي اعتنت به طوقان بشكل خاص.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تجليلته لأسلوبية التكرار كما وردت في المعاجم وكتب
الأسلوبية، ثم استخراج ما ورد من هذا الأسلوب في شعر فدوى في ديوانها وبيان أثر
التكرار على البنية الإيقاعية والدلالية لشعرها، كما تعتبر هذه الدراسة هي الأولى من
هذه الناحية على ديوان فدوى موضوع الدراسة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في بيان أثر أسلوب التكرار في شعر فدوى في ديوانها "تموز
والشيء الآخر" من الجانب الإيقاعي والدلالي، فضلاً عن استكشاف أنماط ذلك التكرار
عندها.

أسئلة البحث:

يتكئ البحث على السؤال الجوهري الآتي:

- ما الأثر الإيقاعي والدلالي للتكرار في شعر فدوى طوقان من خلال ديوانها "تموز والشيء الآخر"؟

ويتفرع عن السؤال الرئيسي الأسئلة الثانوية الآتية:

- ما أنواع التكرار الذي وظفته فدوى في ديوانها؟
- ما أكثر تلك الأنماط استعمالاً؟
- لماذا استعانت فدوى بهذا النمط الأسلوبي؟ وهل هذه السمة حاضرة في دواوينها الأخرى؟

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى مجموعة من الأهداف أبرزها:

- بيان أسلوبيّة التكرار وأهميته وأنماطه وأثرها على النصوص الشعرية.
- استكشاف الأنماط التكرارية في شعر فدوى طوقان في ديوانها "تموز والشيء الآخر".
- استجلاء الأثر الدلالي والصوتي لأسلوب التكرار على شعر فدوى في ديوانها محل الدراسة؟

منهج البحث:

استعان الباحث بالمنهج التالية التي تتناسب وهذا النمط من الدراسة وهي المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي؛ فالوصفي لإضاءة الخلفية النظرية للبحث للوقوف على أسلوب التكرار وأنماطه ومحدداته ووظائفه السياقية، والاستقرائي لاستخراج الأنماط التكرارية وشواهدا الواردة في ديوان فدوى الموسوم بـ "تموز والشيء الآخر"، والتحليلي لدراسة تلك الأنماط وأثرها في البنية الإيقاعية والدلالية والجمالية لشعر فدوى في ديوانها "تموز والشيء الآخر".

مخطط البحث:

وكنت قد قسّمت بحثي إلى مقدمة وفصلين وخاتمة واستهلته بملخص وختمته بالحواشي وثبت للمصادر والمراجع، أما الفصل الأول فعرضت فيه لتعريف التكرار لغة واصطلاحاً، ثم أنواع التكرار، ثم وجوده في كتب التراث، ثم قيمته الفنية والأسلوبية. وفي الفصل الثاني استعرضت أنماطه في ديوان فدوى "تموز والشيء الآخر"، ومثّلت عليه بنماذج من الديوان مشفوعة بتحليل أسلوبية، وأما الخاتمة فقد تضمنت أبرز نتائج البحث وتوصياته.

الدراسات السابقة:

مما لا شك فيه أن الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان قد مثّلت قفزة نوعية في الشعر النسوي خاصة والشعر الفلسطيني بعامة؛ ولذا قامت على دواوينها وكتبها العديد من الدراسات ما بين رسائل جامعية أو أبحاث قصيرة أو كتب مؤلفة، وأسأعرض هنا أبرز الدراسات التي اهتمت بتحليل الأسلوبية لدواوينها كما سيأتي:

1/ (دراسة دوابشة والإبراهيم، 2018) بعنوان "جماليات التكرار في ديوان اللحن الأخير لفدوى طوقان" وهو بحث في 26 صفحة تناول فيه الباحثان أنماط التكرار في ديوان فدوى موضوع الدراسة وبيان الآثار الصوتية والدلالية لتلك التكرارات الحرفية والكلمية والمقطعية الواردة في الديوان مع التركيز على التكرارات الحرفية، وقد خلص البحث إلى أن التكرار سمة أسلوبية في ديوان فدوى "اللحن الأخير" وكان لهذه السمة الأسلوبية آثارها الإيقاعية والدلالية.

2/ (دراسة صرصور، 2006) بعنوان "خصائص الأسلوب في شعر فدوى طوقان" حيث قامت الباحثة فتحية الصرصور بدراسة عامة في دواوين فدوى الكاملة فوقفت عند بعض السمات الأسلوبية الواردة في تلك الدواوين والأعمال، حيث وقفت عند السمات التالية: التناص، الرمز، الاستدعاء التاريخي، الحقول الدلالية البارزة كالوطن والاعتراب والوحدة والتناقضات المتضادة..

والدراسة هي كتاب في نحو 200 صفحة اعتمدت فيه الباحثة منهج تحليل النصوص.

- 3/ (دراسة مخلوف، 2017) وهي رسالة ماجستير بعنوان "ديوان تموز والشيء الآخر لعدوى طوقان؛ دراسة أسلوبية"، وقد انتهجت فيه الباحثة منهج تحليل الخطاب وركزت على التحليل الصوتي والمعجمي والتركيبي والدلالي.
- 4/ (دراسة طه، 2020) وهو بحث منشور بعنوان "العتبات العنوانية والمفاتيح النصية وفق التجاذبات السلطوية مدارس سيميائية في شعر فدوى طوقان"، وقد تناول البحث بالوقوف على عناوين القصائد والدواوين الشعرية وتحليلها صوتياً ودلالياً وتركيبياً وإسقاطها على واقع الشاعرة الثقافي والاجتماعي والسياسي والنفسي.

الفصل الأول

التكرار؛ تعريفه، أنماطه، تطبيقاته، فلسفته وفائدته

أولاً: تعريف التكرار

في اللغة: قال ابن فارس "كُرَّ: الكَفَّ والرَّاءُ أَصْلُ صَحِيحٌ يُدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَرْدِيدٍ. مِنْ ذَلِكَ كَرَّرْتُ، وَذَلِكَ رُجُوعَكَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى" (ابن فارس، 1979، 26/5)

وجاء في لسان العرب "الكُرُّ: الرجوعُ. يُقَالُ: كَرَّهَ وَكَرَّرَ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى. وَالكَرُّ: مَصْدَرٌ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وَكُرُورًا وَتَكَرُّرًا: عَطْفًا. وَكَرَّرَ عَنْهُ: رَجَعَ، وَكَرَّرَ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ؛ وَرَجُلٌ كَرَّارٌ وَمِكْرٌ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ. وَكَرَّرَ الشَّيْءَ وَكَرَّرَهُ: أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.. وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وَكَرَّرْتُهُ إِذَا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ... وَالكَرُّ: الرَّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرَارُ". (ابن منظور، 1414هـ، 35/5).

أما في الاصطلاح فهو ذكر الكلمة أو العبارة بذاتها في أكثر من موضع في النص الأدبي الواحد أو تكرارها لها بمعناها لا بلفظها. (السيد، 1984، ص 254).

تقول نازك الملائكة: "هو إلحاح على جهة هامة من العبارة، يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيِّمة، تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس النص ويحلل نفسية كاتبه، إذ يضع في أيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة على الشاعر". (الملائكة، 1981، ص 27)

فالتكرار إذن ظاهرة أسلوبية، وخاصيته لغوية تعد إحدى لبنات بناء النص الشعري، حيث يؤدي التكرار دوراً أساسياً في بناء النص ينعكس على المستوى الدلالي، أو التركيبي ويتم اختياره عادة بشكل قصدي لا اعتباطي (السعدني، 1987، والعبد، 1989).

ثانياً: أنواع التكرار

يمكن تقسيم أنماط التكرار باعتبارين: نوع الكلمة المكررة وموقعها.

النوع الأول: باعتبار نوع الكلمة:

أ/ التكرار البسيط (تكرار الصيغة):

وهو تكرار الكلمة - حرفاً كانت أم اسماً أم فعلاً - ويشمل هذا النوع من التكرار

الأدوات التالية:

1. "الدواخل: كحروف الجر وأدوات الشرط والنداء.
2. السوابق: كحروف العطف والضمائر المنفصلة وأدوات الاستفهام.
3. اللواحق: كالضمائر المتصلة.
4. الخوالب: كالتعجب والاستغاثة.
5. الكلمة كلها كتكرار الاسم والفاعل" (السعدني، 1984، ص 147).

ب/ تكرار التركيب:

ويشمل كما يقول العبد "تكرار المفردتين معاً والجملة وشبه الجملة" (العبد،

1989، ص136)، وله عدة صور:

1. تكرار العبارة أو الجملة بذاتها أو صياغتها مرة أخرى عن طريق التغيير في العلاقات التركيبية بين عناصر الجملة، وقد لا تتكرر الجملة بذاتها بل يعتمدها التعديل اللغوي.
2. التكرار التصويري وتكون الغاية هنا دور الموسيقى التصويري.
3. التكرار للجملة الأساسية مع اختزال أحد مكوناتها ليصل الاختزال إلى إبقاء الحد الأدنى من الجملة الأساسية.
4. التكرار عن طريق التلاعب اللفظي، بحيث يجد الدارس الأسلوبى بغيته لا في الجملة المكررة نفسها وإنما في موقع إحدى كلماتها ووظيفتها النحوية.

النوع الثاني: باعتبار موقع المقطع المكرر

1- التكرار الاستهلاكي:

وهو تكرار كلمة واحدة أو عبارة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية.

وتظهر فائدته في ما يأتي:

- "التأكيد والتنبيه وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد لمشاركة الشاعر إحساسه ونبضه الشعري". (شريتج، 2010، ص4).
- تقوية النبوة الخطابية من خلال الدفق الغنائي، وتمكين الحركات الإيقاعية من الوصول إلى مراحل الانفراج بعد لحظات التوتر العضوي..
- أنه "يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بنية متسقة؛ إذ إن كل تكرار مثل هذا النوع قادر على تجسيد الإحساس بالتسلسل والتتابع، وهذا التتابع الشكلي يعين في إثارة التوقع لدى السامع، وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزا لسماع الشاعر والانتباه إليه". (ربابعة، 1988، ص15، وشريتج، 2010، ص4).

2- التكرار البياني:

وهو التكرار الذي يأتي لرسم صورة، أو لتأكيد كلمة أو عبارة، تتكرر دائما في القصيدة. وتظهر فائدته في ما يأتي:

- إثارة شعور المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة لخلق ما يسمى لحظة التكثيف الشعوري أو لحظة التوافق الشعوري بين المبدع والمتلقي.
- "تشكيل إيقاع موسيقي في القصيدة بحيث يكون قادرا على نقل التجربة الشعورية بجعل الكلمة المكررة أو البيت المكرر المفتاح الأساسي للولوج إلى عالم النص الداخلي". (شريتج، 2010، ص8، 10)

3- التكرار المقطعي:

هو تكرار بيت شعري أو أكثر في نهاية كل مقطع من مقاطع القصيدة. (مقداد، 1984، ص149)

وتنجلي فائدته في:

- تحقيق النغمة وكثرة المعنى، لأن للتكرار المقطعي "خفة وجمالا لا يخفيان، ولا يخفى أثرهما في النفس، حيث إن الفقرات الإيقاعية المتناسقة تشيع في القصيدة لمسات عاطفية وجدانية، يفرغها إيقاع المفردات المكررة بشكل تصحبه الدهشة والمفاجأة" (إسماعيل، 1978، ص66).
- أنه يؤدي وظيفة افتتاحية، إذ يدقّ الجرس مؤدنا بتفريغ جديد للمعنى الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة.

▪ أنه يعطي تنغيماً مميزاً في المقاطع من خلال التمجّجات الإيقاعية التي يحدثها تبعاً لحالة الشاعر النفسية مما يؤدي إلى تنوع التنغيم وتراثه، وبروزه في نهاية كل مقطع من مقاطع القصيدة. (شريتح، 2010، ص12).

4- تكرار التقسيم:

هونوع من أنواع التكرار، تتكرر فيه كلمة أو عبارة أو جملة في ختام أو بداية كل مقطع من مقاطع القصيدة.

وقد يدخل الشاعر على المقطع المكرر تغييراً طفيفاً في كل مرة، وبهذا يعطي القارئ هزة ومفاجأة مع قوة التعبير وجماله، وارتباط المكرر بما حوله للتغلب على الرتابة.

وجاءت فائدته في الآتي:

- -يساعد على إبراز الإيقاع النغمي في صدر الأبيات.
- - يساعد على إبراز المعاني وتأكيد الإيقاع النغمي في صدر الأبيات "كما يوظف الشاعر الجرس الصوتي للحروف المتكررة لإبراز المعاني" (شريتح 2010، ص23)

ثالثاً- ظاهرة التكرار في الدراسات التراثية:

درس البلاغيون القدامى التكرار كظاهرة بلاغية، وتنبهوا لها عند دراستهم للكثير من الشواهد الشعرية والنثرية وبيّنوا فوائدها ووظائفها لكن دراستهم كانت محدودة مرتبطة بالبيت نفسه دون ربطه بالقصيدة كلها إلا في القليل النادر، من ذلك ما جاء في كتاب الصناعتين معلقاً على تكرار الحارث بن عباد لشطر البيت "قرباً مرتبط النعمة مني": "كرّرها أكثر من مرة، هذا لما كانت الحاجة إلى التكرير ماسّة، والضرورة إليه داعية، لعظم الخطب، وشدة موقع الفجعة، فهذا يدلّك على أن الإطناب في موضعه عندهم مستحسن، كما أن الإيجاز في مكانه مستحب" (العسكري، 1986، ص194).

وممن أطل في الحديث عن التكرار ابن الأثير حيث جعله في قسمين: تكرار في اللفظ والمعنى، وتكرار في المعنى دون اللفظ، واعتبر كل واحد منهما ينقسم قسمين مفيد وغير مفيد، ثم قال: "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيداً له، وتشبيهاً من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو في ذمّه أو غير ذلك.... وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عياً وخطلاً من غير حاجة إليه". (ابن الأثير، 1990 147/2)

ثم تناول العديد من النماذج القرآنية والشعرية لكن اللافت أن تناوله للشواهد الشعرية جاء مبتورا عن القصيدة التي أخذ منها البيت خلافا لما نراه عند الأسلوبيين المحدثين إذ يربطون التكرار ودلالته بالقصيدة كلها.

كما اهتم البلاغيون القدامى بدراسة ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، فحسروا نماذج التكرار في القرآن الكريم، ثم درسوها مبينين بلاغتها ودلالاتها كما فعل ابن قتيبة وغيره. (ابن قتيبة، 1981)

رابعاً- فلسفة التكرار وقيمه الأسلوبية:

- التكرار يسלט الضوء على نقطة حساسة في النص من وجهة نظر المرسل.
- التكرار يكشف اهتمام الأديب به ومن هنا فالتكرار يكشف للدارس الأسلوبي دلالة نفسية قيمة تفيد في دراسة النص وتحليله وبيان الدوافع النفسية والفنية عند الأديب.
- للتكرار خفة وجمال لا يخفيان ولا يغفل أثرهما في النفس، حيث تشيع الفقرات الإبداعية المتناسقة في النص الشعري لمسات وجدانية يزرعها إيقاع المفردات أو الجمل المتكررة (إسماعيل، 1978، ص166).
- يعمل التكرار على تقوية الجرس الموسيقي للقصيدة، ويتحقق ذلك من خلال انسجام الأصوات أو الحروف مع بعضها البعض (ابن إدريس، 2003، ص199).
- يتميز التكرار في الشعر الحديث بكونه يهدف بصورة عامة إلى استكشاف المشاعر الدفينة، والإبانة عن دلالات داخلية لإبراز إيقاع درامي سيكولوجي (الملائكة، 1974، والزمر، 1998).
- دراسة التكرار في العصر الحديث أخذت حيزا كبيرا في حين كان اهتمام البلاغيين القدامى محدودا ومنهم أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين، وابن الأثير في المثل السائر، وابن رشيق في العمدة..

الفصل الثاني

الأنماط التكرارية في الديوان

اشتمل الديوان على أنماط تكرارية متنوعة، وفيما يأتي أبرزها مع ذكر نماذج

على كل نمط..

أولاً: تكرار اللازمة

استعانت الشاعرة بأسلوب تكرار اللازمة في قصيدتها "انتظار على الجسر"؛

حيث قالت:

“ليالي واقفة والزمان كسيح

تراه يجيء ؟ انتظار أنا

تشارين تنثر أوراقها في رمال الصحارى

تشارين ترخي مناديلها على المقل الدامعة

❖ ❖ ❖

ليالي واقفة، ضفة النهر عطشى

ونحن على الجسر - عيني وقلبي وأذني -

.....

.....

.....

❖❖❖

ليالي واقفة... صمّت داري انتظار الزمان البطيء

تراه يجيء ؟

غياب، غياب، غياب

❖❖❖

وغاب الغياب” (طوقان، 1987، ص51)

.....

لقد كشف لنا هذا التكرار عن نقطة محورية في النص كله وهو تجميد الاحتلال

لكل حي فلسطيني وذلك باعتمادها على قتل الوقت، وهي سياسة لا ينفك الاحتلال عن

ممارستها، إن هذا التكرار وظفته فدوى ليؤكد إصرار الاحتلال على مصادرة الزمن مع كل مقطع في القصيدة لتكون شاهدة على استمرار هذه الجريمة الصهيونية.
فالزمن الخاص بالفلسطيني متوقف عند الاحتلال ولا قيمة له، وذلك لأنهم ينظرون إلى الفلسطيني كجثة لأموات، فلا تملك عندئذ إرادة ولا حراكا ولا يؤثر فيها الزمان طال أم قصر، وقد استطاعت الشاعرة بتكرارها لهذه العبارة أن تؤكد هذا المعنى، عدا عن تقوية نبرتها الخطابية بهذا التكرار، وتقوية إيقاع القصيدة كلها بتكرار هذه اللازمة..

ومن ذلك أيضا ما جاء في قصيدتها "تموز والشيء الآخر":

“على جسد الأرض راحت أنامله الخضر تنقل خطواتها

.....

أخْبَيْ ما يثقل النفس، آه... يطاردني الظل يعتم وجه الحلم

أخْبَيْ ما يثقل النفس، من أين يأتي العذاب ؟ من أي كهف يجيء الألم ؟

❖ ❖ ❖

على جسد الأرض راحت تمر أنامله الغضة السندسية

.....

أخْبَيْ ما يثقل النفس، آه... يطاردني الظل يعتم وجه الحلم

أخْبَيْ ما يثقل النفس، من أين يأتي العذاب ؟ من أي كهف يجيء الألم ؟

❖ ❖ ❖

وصارت خطوط يديه جداول

.....

أخْبَيْ ما يثقل النفس، آه... يطاردني الظل يعتم وجه الحلم

أخْبَيْ ما يثقل النفس، من أين يأتي العذاب ؟ من أي كهف يجيء الألم ؟”

(طوقان، 1987، ص7)

فقد جاءت الشاعرة بهذه اللازمة في نهاية كل مقطع من مقاطع قصيدتها الثلاثة، حيث جاءت مكررة أربعة مرات، ولكنها في كل مرة تأتي بعد الألفاظ المكررة بمكون جديد فمرة تفسر ثقل صدرها ومرة بالعذاب والألم، ومرة بالكوابيس ومرة

بالحزن وهي مفردات وإن تنوعت لكنها تفصح عن نفسية الشاعرة التي أثقلتها ظروف حياتها القاسية من حزن وظلم وألم وعذاب وأحلام مزعجة.

إن الشاعرة باستخدام أسلوب التكرار استطاعت أن تلقي في نفس القارئ كل ما يجيش في صدرها من آهات وأحزان، حيث إن تكرارها لعبارة "أخبيء ما يثقل النفس" جعلت المتلقي يتنبه أكثر لما بعد هذه اللازمة.

ثانياً: التكرار الاستهلاكي

من ذلك ما جاء في مقطوعة "حكاية لأطفالنا"، إذ كررت الشاعرة جملة "ظلت

تسيل"؛ فقالت:

"وجه على الرمال

وعنق تخرفيه عقدة الحبال

هامته مشروخة ودمه مداد

تشربه حروف مرثاة رهيبة السواد

ظلت على شفاه أمه تسيل

ظلت تسيل

ظلت تسيل

ستة أعوام طوال" (طوقان، 1987، ص51)

نلاحظ في هذا المقطع أن الشاعرة مستعينة بأسلوب التكرار قد أكدت على أن هزيمة عام (1967) هي هزيمة مستمرة لم تنته، فهي كالنهر الجاري يسيل بلا انقطاع، يسيل بلا أمل بالتوقف، وكان قد مرّ على الهزيمة ستة أعوام عندما نظمت مقطوعتها هذه.

وجاءت قوافي الأسطر في مجموعتين:

الأولى هي اللام المسبوقة بحرف مد

الثانية هي الدال المسبوقة بالألف

وهذا أعطى للشاعرة فرصة لبحث آهاتها ولواعج نفسها في نهاية كل سطر.

ثالثاً: تكرار المفردات

أ/ تكرار الأسماء:

كررت الشاعرة لفظة "تموز" ثلاثاً بشكل مباشر، وكررت ضميراً ست مرات.

وتموز هو أسطورة عراقية تمثل إله الخصب والجمال، وكان السيّاب قد وظف هذا الرمز كثيراً في شعره، بل إن فدوى قد اختارت هذه القصيدة "تموز و الشيء الآخر" لتكون اسماً لديوانها قبل الأخير.

أما توظيف فدوى له هنا فقد جاء كمعادل موضوعي لما سبغت قصيدتها به وهو اليأس والحزن والكآبة، فتموز هو رمز لكل معاني الخصب والجمال، وقد كررت هذا الرمز لتظهر في ضعفها القوة وفي حزنها الفرح وفي يأسها الأمل.

تقول:

"تموز و الشيء الآخر"

.....

عشقناه تموز!

عشقناه تموز ينفض تل الرماد ويمنح ليلاتنا

شمسه الذهبية". (طوقان، 1987، ص7)

وقد أكدت على هذه المعاني بقولها - مستعينة بأسلوب التكرار - في القصيدة نفسها واصفة تموز بصفات البشر والأمل:

"على جسد الأرض راحت أنامله الأخضر تنقل خطواتها

.....

على جسد الأرض راحت أنامله الغضة السندسية

.....

وراحت أنامله السندسية تلقي تائمها فتدوب جبال الجليد" (طوقان، 1987،

ص7)

❖ ❖ ❖

ومن تكرارها الأسماء تكرارها لكلمة (السبت):

ففي قصيدتها "رسالة إلى صديق"، عمدت الشاعرة إلى تكرير كلمة (السبت) في

سنة مواضع في المقطع الثاني من القصيدة، فتقول:

"كل الأيام سواء عندي إلا يوم السبت

لو تعلم ماذا تعني أيام السبت

فيها يصبح للأشياء هنا في بلدي وجه مظلم

وشميم ليس يطاق
ومذاق.... ما احلي العلقم !
الصبر يهاجر من قلبي أيام السبت
إذ يهجم طوفان الخوذات على الأرصفة على الإسفلت
الجيش هنا وهناك يسد بقلبي شريانه
يملؤني ذلاً ومهانة
يطلع في جسدي شجر المقت
ومريئي يتصلب حتى الموت
يعجزني أن ابلعها أيام السبت
من ماتوا ماتوا مره
وأعاقر كاس الموت هنا في أيام السبت المرة
ألفي مره
أمقتها، كم أمقتها أيام السبت". (طوقان، 1987، ص99)

.....

إن تكرار لفظة (السبت) جاءت مقترنة بطعم العلقم، وبفقدان الصبر معه، والسبت هو الموت بل ألف موت، ولذا كان السبت يوماً غير عادي يوماً مكروها عند الشاعرة، لأنه يذكرها بمعاناتها وأهل نابلس من قطاعان المستوطنين وجنود الاحتلال، الذين يزورون المدينة كل سبت لممارسة طقوسهم وهواياتهم القمعية على حساب حرية أهل المدينة إذ يحولونها إلى معسكر بطش وتخريب.

إن مجيء هذه الالزمة في هذا المقطع قد أعطى له إيقاعاً موسيقياً خاصاً، وربطاً ضامداً لكل السطور الشعرية في هذا المقطع.

لقد كررت الشاعرة "السبت" فجاء هذا النمط الأسلوبى ليكشف لنا عن نفسية الشاعرة تجاه هذا اليوم ومدى معاناتها وغصتها وكابتها من هذا العدو ورموزه، حيث إن "السبت" رمز لليهود منذ فجر تاريخهم، فارتبطوا به كما ارتبط بهم.

وجاءت الشاعرة بألفاظ قرنتها بيوم السبت: وجه مظلم، العلقم، الطوفان، المقت، الموت، المعاناة، الأنين، لكن فدوى مع سبغها قصيدتها بالتشاؤم في معظم قصيدتها، إلا أنها قد تضاءلت بفجر جديد فقالت:

"لكني في غمرة أحزاني

أرفع وجهي وأقلب طرفي في الظلمات

فيطل من الأفق النائي

نجم يغزل خيطان الضوء ويضحك لي عبر الفلوات"

فالنجم نجم الحرية يلوح في الأفق وقد بدأت تباشير النصر تظهر في الأفق

البعيد لكن المسألة مسألة وقت - كما ترى فدوى وأراه -.

ومن تكرارها الأسماء أيضا تكرار لفظة (سبعين) أربع مرات في مقطع واحد،

فقالته:

"بالخطوات المتعبة"

حط على مشارف المغيب

سبعون صخرة تدحرجت وراءه

على الطريق

والشمس زاد عمرها سبعين عام

سبعين عاما زاد عمرها 1؟

سبعين عام 1؟

حتى التي تنسج خامة الزمان

يلفها الزمان في ردائه العميق

وقهقه الزمان"

إن تكرار الشاعرة للسبعين يدل على أثر بلوغها لهذه السن على فكرها، فجاء

التكرار ليفصح عن نفسية الشاعرة وما يدور في خلدتها، تلك السنوات السبعون قد أتعبت

كاهلها وقربتها إلى النهاية "مشارف المغيب"، وكأن الشاعرة هنا تبث شعورها بقرب الأجل

المحتوم، وما كانت هذه المعاني لتظهر لولا استعانتها بأسلوب التكرار.

(يشار هنا إلى أن ديوانها كان قد صدر في عام 1987 أي عندما كانت فدوى في

السبعين من عمرها)

ومن ذلك أيضا تكرار لفظة (الليل) حيث جاءت الليل في مقطوعتها "وطلع القمر"

في (3) مواضع، فجاءت ألفاظه متكررة مع اختلاف في المكون المصاحب لها فجاءت كما

يأتي:

"دربي موحشة، يزحف فيها جبل الليل...."

....غيلان الليل تطارد فيها حتى الظل....

وأنا في قبضة هذا الليل." (طوقان، 1987، ص43)

إن الليل في هذه المقطوعة لا يرمز إلا إلى الاحتلال البغيض الذي يجثم على صدورنا فهو احتلال وحشي يصادر كل حرية حتى ظل الوطن، وقد تكررت هذه اللفظة مع اختلاف في المكونات المرتبطة بها، فالاحتلال ثقيل فهو جبل الليل والاحتلال وحش كاسر له أتباعه القتلة، فقال: غيلان الليل تطارد فيها حتى الظل

والاحتلال شامل فقد شمل البشر والشجر وحتى الحجر، فقالت: "وأنا وفي

قبضة الليل"

ب/ تكرار الفعل:

أما تكرار الفعل فقد كان له حضور فاعل عند الشاعرة فدوى، وذلك لكثرة الأحداث التي أمت بها ووفرة المصائب التي حلت بها مع تنوع مساربها واختلاق آثارها، ولما كان الفعل هو الأكثر قدرة على التعبير عن هذه الأحداث بحيث تبقى - هذه الأحداث - متجددة بتجدد قراءتها فقد عمدت إلى توظيفه وفق نمط التكرار.

من ذلك: ما جاء في مقطوعة "سليل البدر"؛ فقالت:

"لم أصغ حين قال:

لا تتبعيني، لا....

وقد تبعته، تبعته، تبعته....

وقد تبعته طوال رحلة العمر!" (طوقان، 1987، ص27)

إن تكرار فدوى للفعل "تبعته" دل على تبعية مطلقة والضمير هنا عائد إلى "التشرد"، فهي في حالة تشرد مستمرة لا يقر لها قرار ولا يهدأ لها بال، وهذا مستمر معها حتى وفاتها، إن نمط التكرار للفعل هنا دل على حركة مستمرة وهذه حال اللاجئ فمهما مكث في أرض فإن نفسه تتوق إلى أرضه ووطنه مهما بعد العهد، وطالت الإقامة.

ج/ تكرار الحرف:

ومن ذلك تكرار حرف النداء، فقد جاء في قصيدة "مبارك هذا الجمال والعذاب"،

تكرار لحرف النداء (يا) في تسعة مواضع في المقطع الثالث من القصيدة:

فقالت :

" يا حب يا خلاق "

يا مبدع الجمال يا

مفجر الأوجاع

يا باعنا وجودي الجميل، يا مشتتي

على حدود الموت والضياح

يا حب، يا حقيقة الحياة يا

توهج السراب

مبارك أنت، مبارك

هذا الجمال والعذاب " (طوقان، 1987، ص79)

إن تكرار الشاعرة لأسلوب النداء مستخدمة حرف النداء (يا) ثم كررت النداء بذكر صفات الحب في كل مرة، فيه دلالة واضحة على أهمية هذا المعنى في نفسية الشاعرة، فالحب معنى سام فيه طاقة إبداعية هائلة تصل إلى كل نواحي الحياة: جمالها، بؤسها، حقيقتها، عذابها.... وهو لذلك قد أخذ من الشاعرة لبها، وتمكن في نفسها، وملك عليها فؤادها فوصفته بالنبوة والكرم والبشر، لذا قالت في نهاية قصيدتها:

" مبارك أنت "

مبارك هذا الجمال والعذاب "

كما أن تكرار "يا" النداء هنا يؤدي إلى إيقاظ ذهن المتلقي وتنبيهه لما سيأتي.

وأما الجانب الإيقاعي من تكرار أسلوب النداء، فإن تكرار هذه اللازمة مع تباين

ما بعدها يجعل للقصيدة إيقاعها الموسيقي الخاص.

ومن نماذج تكرار الحروف ما جاء في قصيدتها "مطاردة"، حيث كررت الشاعرة

حرفين مع الضمير "لأنك" حيث بدأت بها مقطوعتها، وكررتها ست مرات.

فقالت :

"لأنك عارية القلب، والوجه عار بدون قناع

لأنك لا أنت حوت ولا أنت ثور صراع

لأن حروفك عمدها الصدق فاغتسلت من ركام الوحول

لأنك أنت، لأنك أنت الحزينة

.....

لأنك عارية القلب في ليل هذا الضياع

لأنك أنت الحزينة

تظلين في غابهم أنت وحدك كبش الفدا في الصراع" (طوقان، 1987،

ص23)

فهذا النمط من التكرار إضافة إلى إظهاره لأهمية دلالة الحرف المكرر وهو بيان العلة أو الأسباب وراء استهداف فلسطين عبر التاريخ، فقد أضاف هذا التكرار جانبا إيقاعيا.

إن مثل هذا التكرار هو أبسط أنواع التكرار كما ترى نازك الملائكة، فقالت "وهو لون شائع في شعرنا المعاصر يلجا إليه صغار الشعراء ولا يعطيه الأصالة والجمال إلا شاعر موهوب حاذق يدرك المعول لا على التكرار نفسه وإنما ما بعد الكلمة المكررة" (الملائكة، 1974، ص278)، وأعتقد أن هذا ما فعلته فدوى هنا، حيث جعلت من تكرارها تجديدا دلاليا وإيقاعا موسيقيا.

رابعا: التكرار الهندسي

ومن الأنماط التكرارية الفريدة في شعرها التكرار الهندسي من ذلك ما جاء في

قصيدتها "في قبضتي الربيع والحزن"، فقالت:

"كيف تكون؟ كيف تنامي؟

كيف توغل في الأبعاد وعرش حتى افترش الدنيا؟

❖ ❖ ❖

يشبعني حزنا وهو يضر في ربيعا ورديا

يشبعني موتا وهو يمس رماد القلب فيبعث حيا

❖ ❖ ❖

حول عني هذا الأمر..

هو أكثر مما يحتمل القلب

هو أكبر مما تتسع الرؤيا" (طوقان، 1987، ص55)

❖ ❖ ❖

إن القصيدة تمثل لوحة إيقاعية قد بُنيت على ثنائيات، بدءاً بعنوانها الذي جمع بين الربيع رمز الأمل والبشر وبين الحزن وهما طرفاً نقيض، وانتهاءً بمقاطع ثلاثة كل مقطع بدأ كل سطر فيه بلفظة مكرّرة، وأما ما جاء بعد اللفظة المكرّرة فهما من الثنائيات، ففي المقطع الأول استهلته بكيف، ثم كرّرت "كيف" ثلاث مرات، وتغيّر ما بعدها في كل مرة:

"كيف تكوّن؟ وكيف توغّل...؟"

فالتكوّن هو البداية والتوغّل لا يكون إلا في النهاية فهما من الثنائيات. ويشار هنا إلى أن تكرار صيغة السؤال تُسهم في فتح المجال الدلالي وشحنه بقوة إيحائية تستدرج القارئ لإكمال النص، وتدفعه للبحث عن عناصر الغياب... وفي المقطع الثاني استهلته بالفعل "يشبعني" فجاء بعده "حزناً"، وفي السطر الثاني "موتاً" فهما من الثنائيات، فالموت هو فقدان الإحساس، والحزن هو قمة الإحساس. وفي المقطع الثالث استهلته بالضمير "هو"، وقد جاء بعده بـ"أكثر"، وفي السطر الثاني بـ"أكبر"، صحيح أنهما ليسا من الثنائيات، ولكنّها جاءت بهما لتكمل نهاية العلاقة بين الربيع والحزن، وجاءت في هذا المقطع لتعلن استسلامها للحزن وأنه الأكبر والأكثر فتكا بجسدها الضعيف وقلبها المرهف الإحساس.

الخاتمة :

في ختام هذه الدراسة ألخص أهم نتائجها، حيث جاءت كما يأتي:

لقد كشفت الدراسة عن الجانب الوظيفي للتكرار ضمن السياق الذي ورد فيه، فقد ظهر لنا أن التكرار عند فدوى يأتي لإحداث وظيفة بنائية وإيقاعية ودلالية كما مرّ خلال صفحات البحث.

استطاعت فدوى من خلال أسلوب التكرار أن تعبّر عما في ذهنها وتصوّر مشاعرها وأحاسيسها وآلامها وهمومها التي أصابتها بسبب واقع الاحتلال البغيض من جهة وواقع حياتها الاجتماعية من جهة أخرى.

لقد استطاعت فدوى من خلال توظيف نمط التكرار أن تسبغ قصائدها بمسحة جمالية إيقاعية وهندسية تميّز شعرها وتجمل لغتها وتؤكد معانيها...

تعدّدت الأنماط التكرارية في ديوان فدوى طوقان فجاءت وفق ما يأتي:

تكرار اللازمة بنوعيتها القصيرة والطويلة، والتكرار الاستهلاكي، والتكرار الهندسي، وتكرار المفردات: الأسماء، والأفعال، والحروف.

وقد أكد التحليل الأسلوبي لهذه الظاهرة أن الشاعرة قد وظفت التكرار في مكانه المناسب فجاء متشحا بعمق الدلالة ومزينا بجمال الإيقاع، وهذه شهادة أخرى لسنديانة فلسطين الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان رحمها الله.

ويوصي الباحث باستكمال الظواهر الأسلوبية الأخرى في دواوين فدوى فإنها ثروة دالة تزخر بنفائس مغمورة ودرر حبيسة.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير الموصلية "المتوفى 637هـ" - (1990م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.
2. إسماعيل، عز الدين (1978م)، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، (ط 3) بيروت، دار العودة.
3. ربابعة، موسى (تموز 1988م)، التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، مؤتمر النقد الأدبي الأردن، جامعة اليرموك.
4. الزمر، أحمد قاسم (1998م)، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن "دراسة وتحليل"، ط1، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر.
5. السعدني، مصطفى (1987م)، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، ط1، الإسكندرية، منشأة المعارف.
6. السيد، شفيق (1984م)، أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعر، مجلة إبداع عدد 6، السنة الثانية، يونيو.
7. شريتح، عصام (2005م)، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
8. طوقان، فدوى (1987م)، ديوان "تموز والشيء الآخر"، ط1، عمان، دار الشروق.
9. عبد المطلب، محمد (1984م)، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
10. عبد المطلب، محمد (1990م)، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دون ناشر.
11. العبد، محمد (1989) اللغة والإبداع الأدبي، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
12. علي، عز الدين السيد (1978)، التكرير بين المثير والتأثير، ط 2، القاهرة، دار الطباعة المحمدية.
13. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي "المتوفى: 395هـ" (1979م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر.

14. ابن قتيبة (1981م)، تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، ط3، بيروت لبنان دار الكتب العلمية.
15. مقداد، قاسم (1984)، هندسة المعنى في السرد الأسطوري، دمشق، ط1، دار السؤال للطباعة والنشر.
16. الملائكة، نازك (1974)، قضايا الشعر المعاصر، ط4، بيروت، دار العلم للملايين.
17. المنصور، زهير بن أحمد (2000 م)، ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي "دراسة أسلوبية"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد 21، الجزء 2، الصفحات 1303-1358.
18. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، الأنصاري الرويفي الإفريقي "المتوفى: 711هـ" (1414هـ)، لسان العرب، ومذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، ط3 بيروت، دار صادر.
19. أبو هلال العسكري (1986م)، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، ط14، بيروت، المكتبة العصرية.